

الأسلوبية في النقد الجزائري المعاصر

كتاب أدبية الخطاب النثري عند البشير الإبراهيمي للدكتور حسين بوحسون

Stylistics in Contemporary Algerian Criticism

The Literary Book of the Prose Discourse of Al-Bashir Al-Ibrahimi of Dr Houcine Bouhassoune

تاريخ النشر: 2025/04/25

تاريخ القبول: 2024/10/04

تاريخ الإرسال: 2024/03/04

ليلي طيفوري¹EMAIL : tifouri.leila@univ-bechar.dz ، جامعة بشار ، الجزائر¹

الملخص:

يقدم المقال تعريفا للأسلوبية في النقد الجزائري المعاصر، وكيف كان لها حضورا في كتابات أدبائنا شعرا ونثرا، لذلك وضعنا عدسة مجهرة على قائمة من قامات الأدب الجزائري في كل العصور ألا وهو الشيخ البشير الإبراهيمي، من خلال كتاب أدبية الخطاب النثري عند الشيخ البشير الإبراهيمي للدكتور حسين بوحسون. لقد حفل الخطاب النقدي العربي مع أواخر القرن العشرين بالعديد من المناهج الغربية، ظهر ما يعرف: بالتلاقي والتلاقح، مع التحفظ في التهل من هذا الفيض خصوصا مع موروثنا الثقافي، وإن الدرس الأسلوبي مصطلح هلامي خاضع لمبدأ التغيير والتطور، نظرا لطبيعته المرتبطة بالإبداع.

ومن الإنصاف بل من الواجب ذكر مجهودات العرب في هذا المنحى، فقد كانت لهم رؤية تتسم بالدقة والتحقيق استطاعوا من خلالها محاصرة مفهوم الأسلوب رغم شساعته، والبحث عن تجلياته وجمالياته.

الكلمات المفتاحية: أسلوبية؛ أدبية الخطاب؛ إبداع؛ معاصر؛ موروثنا الثقافي؛ نقد جزائري.

المؤلف المرسل: ليلي طيفوري ، الإيميل: tifouri.leila@univ-bechar.dz

Abstract:

The article provides a definition of stylistics in contemporary Algerian criticism, and how it had a presence in the writings of our writers, poetry and prose. Therefore, a microscopy lens was placed on one of the pillars of Algerian literature in all ages, namely, Shreikh Al-Bashir Al-Lbrahimi Through the literary book of the prose discourse of Sheikh Al-Bashir Al-Ibrahimi of Dr Houcine Bouhassoune, the Arab critical discourse was developed with the end of the twentieth century, especially with our cultural heritage, with many Western approaches, what is known as consolidation, with Caution in taking this abundance, especially with our cultural heritage. The stylistic lesson is a cursory term subject to the principle of change and development, due to its nature associated with creativity. It is fair and necessary to mention the efforts of the Arabs in this regard. They had visions characterized by accuracy and investigation, through which they were able to besiege the concept of style despite its vastness, and search for its manifestations and aesthetics.

Keywords: *stylistics; literary discourse; creativity; contemporary; cultural heritage; . Algerian criticism..*

1. مقدمة:

إن الارتقاء بفكرنا النقدي لا يعني الانصياع والانقياد وراء المفاهيم الغربية حرفياً، بل الأخذ بما هو مفيد ومتفاعل لثقافتنا، مع ركوب موجة الحداثة بتحفظ شديد " ومادامت خصائص الأدب وخصائص الثقافة هي التي توجه مفاهيم النقد... التي يتبناها نقدنا الجديد بصورتها الراهنة، مفاهيم تتفق مع واقع الأدب والثقافة الغربية أكثر مما تتفق مع واقع أدبنا وخصائصه الثقافية." (سعيد، 2002، 21)



فمن الإنصاف أن نعترف بجهود علمائنا الأجلاء في كل الميادين، نقدرها تقدير طالب العلم لشيخه، ونقدر في الآن نفسه جهود علماء الغرب لما قدموه لنا. لقد حفل الخطاب النقدي العربي مع أواخر القرن العشرين، بالعديد من المناهج الغربية، ظهر ما يعرف: بالتلاقي والتلاقح، مع التحفظ في النهل من هذا الفيض خصوصا مع مورثنا الثقافي. الأسلوب والأسلوبية مصطلحان يكثر تداولهما وانتشارهما في الساحة الأدبية واللغوية الحديثة والمعاصرة، وخاصة في مجالات: علوم النقد، والبلاغة، وعلم اللغة. عرّف عبد السلام المسدي الأسلوب: "بأنه قوام الكشف لنمط التفكير عند صاحبه وتتطابق في هذا ماهية الأسلوب مع نوعية الرسالة اللسانية المبلغة مادة وشكلا." (المسدي، دس، 64)

وكان بالمسدي يعرف الأسلوب بالرجل كما عرفوه من قبله، ويردّف قائلا: "واعتماد هذا المقياس في تحديد الأسلوب عريق في القدم، متجدد ما انفك يستهوي رواد التنظير، والسبب في ذلك أن العلاقة العضوية اللفظ والملفوظ من العمق واحدة أحيانا بحيث يتعذر على الفاحص فصل الباعث والمبعوث وجودا." 3 بمعنى ذلك أن هناك علاقة بين الكاتب والمتكلم، فالأسلوب يحمل المعاني والألفاظ التي تكون في نسق داخل العقل قبل صدورها من اللسان أو بالقلم.

أما عن الأسلوبية فقد عبر عنها بقوله: "فالأسلوبية شأنها شأن البلاغة في التفكير الإنساني عامة... ولعل أهم مبدأ أصولي يستند إليه تحديد الأسلوبية يرتكز أساسا على ثنائية تكاملية هي من مواضع التفكير اللساني، وقد أحكم استغلالها علميا سوسير، وتتمثل في تفكيك مفهوم ظاهرة اللغة وظاهرة العبارة." (المسدي، دس، 37، 38) فظاهرة اللغة تكمل ظاهرة العبارة، فالعبارة تحمل معان وألفاظ استمدتها من اللغة على اختلاف أنواعها، فتصب في بوتقة واحدة هي بوتقة التعبير والوصف والتاريخ لتظهر حضارة ما. وقد عرفها عبد الجليل مرتاض في قوله: "أما الأسلوبية فهي بلاغة معاصرة في شكلها المزدوج، فهي علم التعبير ونقد الأساليب الفردية، ولكن هذا التعريف لم يتضح إلا ببطء وإن هذا العلم الجديد للأسلوب لم يعرف موضوعه وأهدافه ومناهجه، إلا بتمهل أيضا." (مرتاض، 207، 2011)

وربما أنسب تعقيب لهذا القول ما قاله بشير تاويرت: "ومن هذا المنطلق فإن الأسلوبية ترسم تأملها لعالم النص رسماً تتعدد فيه القراءة، أحد هذه الرسوم تتأمل فيه البنية الصوتية والإيقاعية والمعجمية، والآخر تتأمل فيه البنية التركيبية النحوية، والثالث تتأمل البنية الدلالية الجمالية، ومن دون تجاهل للسياق وما يكتنزه من علاقات اختيارية وانحرافية." (تاويرت، 2010، 179)

وعلى الناقد الأسلوبي الفطن أن يكتشف من خلال المستويات التي تنشأ في ظلها الأسلوبية ما يخدمه ويخدم إبداعه خصوصاً تلك العمليات التي تعرف بالاختراق والانزياح في مجالي: الشعر والنثر، وأن يلم بهذه البنيات ليحلل الخطاب تحليلًا تفكيكيًا، يظهر الخفي والعصي من الألفاظ والمعاني، ويسمح لقارئ جديد أن يتلذذ بهذا الخطاب مرتين: المرة الأولى مع صاحبه والثانية مع الناقد.

2. مناهج الأسلوبية

لقد شغل النّصّ الإبداعي عقول علماء الأسلوب لما فيه من اختيارات أسلوبية تخضع لاعتبارات فكرية وأدبية تخص المبدع ذاته، لذلك كان لابد أن ينظر للنّصّ الأدبي وفق الاتجاه الأسلوبي بوصفه اختياراً واعياً للغة لكنّ هذه الرؤية حوّلت النّصّ الأدبي إلى حقل لغوي بحث، ذلك لأنّ " الوصف اللّغوي الخالص للعمل الأدبي سيبرز جميع العناصر اللّغوية في وصفه، ويوضح مكوناتها ووظائفها دون أن يعين الملامح والعناصر التي تمثل أيضاً وحدات النّصّ الأسلوبية، من هنا نشأة ضرورة وضع المعايير النّاجعة، لالتقاط الأسلوبية دون غيرها" (جرجس، 2014، 153).

فمن المناهج التي ارتكزت عليها الأسلوبية ما يلي:

1.2 الأسلوبية التعبيرية (الوصفية):

والتي انبثقت من اللّسانيات الحديثة مع (دي سوسير) وذلك بعد اللّغة ملكة إنسانية ذات أبعاد أهمها: البعد الاجتماعي، البعد الدّهني، والبعد التاريخي، ومن روادها



(شارل بالي)، تلميذ (دي سوسير) الذي حدد " حقل الأسلوبية بظواهر تعبير الكلام والفعل ظواهر الكلام على الحساسية، فمعدن الأسلوبية بحسب تعريف (بالي) ما يقوم في اللغة من وسائل تعبيرية تبرز المفارقات العاطفية، والإرادية، والجمالية، بل حتى الاجتماعية و النفسية، فهي تكشف في اللغة الشائعة التلقائية قبل أن تبرز في الأثر الفني" (جرجيس، 2014، 154). هذا عن الأسلوبية التعبيرية الوصفية للأحاسيس وما تحمله، وللظروف الاجتماعية والتاريخية.

2.2 الأسلوبية الفردية (التكوينية):

ظهرت كَرْدَة فعل للأسلوبية التعبيرية فالدّارس في هذا الاتجاه يراعي العلاقات التي تربط بين الشكل اللّغوي والتّعبير الوجداني لشخصية الكاتب، ومن روادها العالم النّمساوي (ليوسبيتزر) الذي اهتم بدراسة وقائع الكلام وتحليل الانحراف الفردي والأسلوب الخاص.

3.2 الأسلوبية الوظيفية (البنوية):

هي الأكثر ذيوعاً وشيوعاً وتعدّ امتداداً للأسلوبية (بالي) فهي تعتمد على مبدأ التكافؤ أو التّعادل الذي وضعه (جاكسون) " الذي اشتهر بترسيمه خريطة توضح المراحل التي تمر بها الرّسالة من المتكلم إلى المستقبل أو المتقبل

أداة النّقل قناة الاتصال

المحتوى أو المضمون شفرة الرّسالة

المرسل — الرّسالة — المستقبل (المتلقي)" (جرجيس، 2014، 156).

كتاب / جريدة مذياع / جريدة

4.2 المنهج الإحصائي:

يعدّ الإحصاء ضرورة حتمية لبعض الدّراسات الّتي تحمل سمة الموضوعية؛ فهذا الرّصد الدّقيق لكلمات أو حروف أو أفعال، يزيد من أهمية الدّراسة الأسلوبية، وقد تخرج عن الجمالية واللّغوية. ولقد حدّد الدكتور أيوب جرجيس المآخذ من الّتي لوحظت على هذا المنهج: " أن الطريقة الإحصائية تعوزها الحساسية الكامنة لالتقاط بعض الملاحظات الدقيقة، كالظلال الوجدانية، والأصداء الموحية. المنهج الإحصائي يقضي إلى عدم مراعاة التأثير السّياقي للنّصّ الّذي يعدّ مطلباً أساسياً في التّحليل الأسلوبي" (جرجيس، 2014، 160). لا يخلو أيّ منهج أو دراسة من نقص أو قصور، وهكذا كانت البدائل حلاً لجبر هذه الكسور. لقد صار للأسلوبية " اتجاه عامّ هو دراسة الأسلوبيات العامّة، واتجاه خاصّ وهو الدّرس الأسلوبي الخاصّ بلغة من اللّغات، فعزز هذا استقلالها ضمن الدّراسات اللّسانية... تدرس الأسلوب صوتاً، وصرفاً، ونحواً، وإحصاءاً" (عياشي، 2002، 9). فكل لغة تدرس أنماطها الصرفية والتّحوية والصوتية وحتى الإحصائية، لتمييز نفسها عن باقي اللغات.

أثناء تفحصنا لكتاب النّقد الجزائري المعاصر من اللانسونية إلى الألسنية لصاحبه يوسف وغيلسي، وجدنا ما يشفي غليلنا ففي كتابه هذا وضع مسحاً للنّقد الجزائري بدءاً من المرحلة السّياقية إلى المرحلة التّصانية، وبما أن دراستنا هي الدّراسة الأسلوبية فقد اهتمنا بهذا الجانب كثيراً فالأسلوبي يقوم بدور الخبر حيث يجهز ملف التّشخيص ليسلمه إلى النّاقد كي يحدّد وصفة القيمة، بينما يعالج البنيوي جسم النّصّ معالجة مباشرة مكثفية بذاتها" (وغيلسي ي، 2002، 146).

هذا إن دل على شيء إنّما يدل على تكاثف الجهود بين الدّارسين للظاهرة الأدبيّة، فكلّ له وظيفة سواء الأسلوبي، أو النّاقد أو البنيوي. " ليس للأسلوبية في الخطاب النّقدي الجزائري مقام يستأهل البحث في جوانبه والتّنقيب عن خصوصياته، وكل ما هو كائن لا يعدو أن يكون مجرد محاولات متواضعة في كمها وكيفها، قدمت أصلاً - بحوثاً أكاديمية في نطاق جامعي محدود، قصارها الظفر بدرجة جامعية ما لا أكثر، ولذلك فمن إعنات الذّات أن نفكر في البحث عن اسم نقدي جزائري جعل من الأسلوبية شغلاً شاغلاً له" (وغيلسي، 2002، 148).

إذن حسب كلام يوسف وغليسي لا وجود للأسلوبية في النقد الجزائري إلا بعض اللّمسات المحدودة عند الدكتور عبد المالك مرتاض " تتجلى بشكل ظاهر في أحد فصول كتابه (الأمثال الشعبية الجزائرية) موسوم بـ (دراسة في أسلوبية الأمثال الشعبية الجزائرية) عرض فيها _ باقتضاب _ لمفهوم الأسلوبية وتاريخها ثم أردفها بجانب تطبيقي. وتعدّ هذه الدراسة أوّل عهد النقد الجزائري بالأسلوبية" (وغليسي، 149، 2002). هذا عن عبد الملك مرتاض، فهو أوّل من نظّر للأسلوبية في الجزائر. كما قدّم الأستاذ الشاعر علي ملاحي محاولة طيبة (عن شعرية السبعينات) نلمس خلالها بعض الملامح الأسلوبية في التجربة الشعرية لأمثال: (عبد العالي رزاق، أحمد حمدي، عمر أزراج، سليمان جوادي، زينب الأعوج، أما على الصعيد الأكاديمي فنجد الأستاذة آمنة علواش، وما قدمته في خصوص (البلاغة القديمة عبد القاهر الجرجاني)، ونجد أيضاً للأستاذ عبد الحميد بوزوينة في كتابه (بناء الأسلوب في المقال الإبراهيمي وهي دراسة تستأنس لما قدمه ليوسبيتزر وجون كوهين ومارسيل كريسو وجورج مونان، والمسدي وصالح فضل وأحمد الشايب. وهناك دراسة أخرى للأستاذ رابح بوحوش هي "البنية اللغوية لبردة البوصيري ... وهي دراسة تسعى إلى إبراز الظواهر اللغوية والأسلوبية التي تعج بها البردة.

ومن الدراسات أيضاً دراسة للأستاذ طول محمد في كتابه (البنية السردية في القصص القرآني) × فقد خصه بأسلوب السرد القرآني الذي يعنى بالنحو والبلاغة والإعجاز، إذن فإن الأعمال الأدبية في حد ذاتها تمثل التّبع والمورد الذي تخرج منه المناهج النقدية والتي بواسطتها نتوغل إلى عمق الأثر الأدبي فندرسه دراسة شاملة، وافية وذلك بمسايرة الرّكب، وحتى وإن وجد تقصير في الدّرس الأسلوبية في النقد الجزائري هذا لا يحط من قيمته، بل بالعكس هو إرهاب لمحاولات تبني مستقبلا على المنهج التكاملي الذي يجمع كل المعطيات المفيدة من تاريخية وفنية وأبعاد نفسية واجتماعية ودينية .

"وكيفما كان، فإن انتقال الأسلوبية إلى الخطاب النقدي العربي قد تأخر إلى سنوات القرن الماضي، ومن الأسماء الجزائرية الصاعدة نجد نور الدين السّد الذي خص الأسلوبية بأطروحة علمية ضخمة، وعبد الحميد بوزوينة، وعلي ملاحي، ورابح بوحوش. و من خلال كتاب أدبية الخطاب النثري عند البشير الإبراهيمي للأستاذ الدكتور حسين

بوحسون، وهو كتاب يحتوي على مائة وثمانية وتسعين صفحة وهو أربعة فصول : ففي الفصل الأول عنوانه بالأدبية وبنية الخطاب وتناول فيه عنصرين الأول عن السياقات الخارجية وقصرهما على البعد اللغوي في النص الأدبي (يخرج الخطاب من النفعية إلى الجمالية) والعنصر الثاني تحدث فيه عن الأدبية ومستوياتها وحدد الزاوية التي يرى بها النص وهي زاوية داخلية، وهي التركيز على العوامل الموضوعية والخصائص الفنية للأثر الأدبي، والزاوية الخارجية وهو ما يتصل بالسياقات الخارجية وذلك حسب ما نادى به "ريفاتر" وميز الدكتور الأدبية من زاوية التلقي فحدد لها ثلاثة أنساق هي: نسق الدال؛ نسق التركيب؛ نسق الإيقاع.

ففي نسق الدال حدد المستوى النفعي التواصل، والفني الجمالي وبينها في اللفظ وصناعاته وهذا ما يعزز "مبدأ الاختيار أو الاستبدال" ومن أهم خصائص الدال الانحراف (الدلالة الظاهرة تحيل على الدلالة الخفية). أما عن النسق التركيبي فهو يعتمد بكثرة على علم النحو، والنسق الإيقاعي الذي يحمل دالتين: صوتية ودلالية، فكل حرف أو كلمة تحمل إيقاعا دلاليا يؤدي معنى في النص الشعري أو النثري. و الفصل الثاني تحدث فيه عن أدبية الصناعتين: اللفظية والمعنوية وجعل له ثلاثة عناصر هي:

واحد الاختيار اللفظي : أي انتقاء الألفاظ لتنظم الكلام. ورصع الدكتور هذا العنصر بالاستشهاد من نصوص للشيخ الإبراهيمي والذي حمل ألفاظه صفتي : التآلف والأنسجام.

ثانيا أدبية البنية الصرفية: البنية الصوتية بدأ من الصوت فالحرف فالكلمة. ثالثا أدبية الانزياح اللفظي والدلالي: الذي يعبر عن العدول من معنى إلى معاني أخرى تزيد من فنية العمل الأدبي تارة والخطاب تارة أخرى. وفي الفصل الثالث تحدث فيه عن أدبية الصناعة التركيبية وعناصرها(أدبية التركيب؛ أدبية التوليد الدلالي؛ أدبية التقابل الدلالي؛ أدبية التقديم والتأخير؛ أدبية الحذف والذكر) أما الفصل الرابع فتحدث فيه عن أدبية الصوت والإيقاع، ولقد درس فيه مظاهر الإيقاع وتجلياته، الإيقاع بأنواعه: اللفظي؛ والمعنوي؛ والتركيب. ولقد خصصنا الحديث عن بعض من هذه الأدبيات.

3. أدبية الانزياح اللفظي والدلالي:

"إن الانزياح اللفظي لمن أبرز مظاهر أسلوب البشير الإبراهيمي، يلجأ إليه لتصوير الفكر، والشعور والإحساس" (بوحسون، 54، 2014). فهذا الانزياح خاصية أسلوبية تتميز به لغة الإيحاء، وقد لجأ الكاتب إلى دلائل الإعجاز، لتوضيح معنى "الانزياح" هذا الأخير يظهر في خطاب الإبراهيمي على المستوى اللفظي والدلالي ويشكل الانزياح "قاعدة أسلوبية متينة، ومركزاً محورياً لكم وافر من الكتابات الأسلوبية التي اتخذت من "أسلوبية الانزياح" تسمية لها موازية للأسلوبية الأدبية" (وغليسي، 204، 2009) فالانزياح إذن حدث أسلوبى يبرز الخوارق والعدول عن المعنى إلى معاني أخرى تزيد من فنية العمل الأدبي بصفة عامة، والخطاب بصفة خاصة.

إن خاصية الانزياح اللفظي عند الشيخ خاصية عامة في نثره كما في قوله: "يميناً لو تبرجت لي المواطن في حللها" (بوحسون، 64، 2014). فالفعل "تبرج" خرج عن مألفه ليطل بذلك الهتك أو الخرق، فهو انزياح دلالي، فالتبرج صفة للمرأة غير المحجبة، فخرج الفعل من معناه الطبيعي ليحمل معنى آخر يزيد به رونقاً وجمالاً، هذ العدول يفتح أمام الأديب والناقد على حد سواء خاصية التأويل والتوليد.

ففي هذا العنصر أدبية الانزياح اللفظي والدلالي يورد لنا الكاتب مجموعة من الاستعارات التي يغتنى الخطاب بكثرتها" ويحقق شهرته بجودتها، ومهمة محلل الخطابات وفق هذا المنظور هي تعقب رحلة الأنساق المستعارة ... حيث يصبح الخطاب بمثابة طريق سيار للاستعارات" (البازي م، 36، 2017) التي تحمل نبضا حيويًا يجعل من ذلك المعنى أدبية وشعرية منقطعة النظير.

أما عن الانزياح الدلالي فقد قام الكاتب برصد مجموعة من "التشخيصات" أي جعل المحسوس ملموس والعكس صحيح، ولجأ الشيخ في آثاره أيضاً إلى الصنعة الصوتية سجع، جناس... والمشاهد الإيحائية والدلالية كثيرة في نصوص الشيخ فهي تنبض بالحياة صوت وحركة، لتأدية المعنى على أكمل وجه، وصدق العلامة ابن خلدون حينما تكلم عن

البيان فقال: "فاشتمل هذا العلم المسمى بالبيان على البحث عن هذه الدلالات التي
لهيئات والأحوال والمقامات، وجعل على ثلاثة أصناف:

الصَّنَف الأول: يبحث فيه عن هذه الهيئات والأحوال التي تطابق باللفظ جميع
مقتضيات الحال، ويسمى علم البلاغة.

والصَّنَف الثاني: يبحث فيه عن الدلالة على اللازم اللفظي وملزومه وهي الاستعارة
والكناية... ويسمى علم البيان، وألحقوا بها صنفاً آخر وهو النظري في تزوين الكلام
وتحسينه بنوع من التَّنْمِيق إما بالسَّجْع يفصله، أو تجنيس يشابه بين ألفاظه، أو ترصيع
يقطع أوزانه، أو تورية عن المعنى المقصود لإيهام معنى أخفى منه، لاشتراك اللفظ بينهما
أو طباق بالتقابل بين الأضداد وأمثال ذلك، ويسمى عندهم علم البديع" (خلدون،
504، 2010).

و كل هذه المظاهر تبرز في خطاب الشيخ لأنه من رواد مدرسة الصنعة اللفظية،
أما عن اقتباس الشيخ لبعض ألفاظ القرآن الكريم فهو ينزلها منزلة حسنة في نصوصه،
ويعبر عنها بأسلوب لائق هكذا نجد شيخنا يستخدم اللغة استخداماً متميزاً ليحقق
الأسلوبية بحذافرها، ويجعل من المعنى الرسالة المؤثرة في النفس البشرية.

4. من الأدبيات التي تعج بالأسلوبية في الكتاب

1.4 أدبية التركيب

ويعود بنا الكاتب أدراجاً إلى قضية النظم عند الجرجاني وأن هذا الأخير يرجع
الأدبية إلى خصائص البناء وخواص التركيب "وهذه الخصائص والقيم الأسلوبية التي
يكتسبها التركيب ليس لها حدود، وليس لها معيار أو قانون يحدها ... بل هي صفات أو
أوصاف يكتسبها التركيب، أو أي عنصر فني آخر من جراء الاستعمال ومن خلال السياق"
(بوحسون، 81، 2014). أي أن الأدبية تنشأ في القدرة على استخدام اللغة واستغلالها
المناسب.

2.4 أدبية التوليد الدلالي



هو التّمدد الأسلوبي لفكرة ما، لتشمل عدة معاني. ولقد صُنّف الإبراهيمي ضمن فئة الكتاب الذين يمتاز أسلوبهم بصيغة التّوليد في المعاني والصيغ وذلك بالأوصاف والنّعوت، ولقد حددها الدكتور بحسون في كتابه بجداول

4.3 أدبية التّقابل الدّلالي

يعد التّقابل من التّقنيات الأسلوبية " لأنّ النّصّ الأدبي نص مفتوح يتسم بالجدل والحوار... وتغدو مثل هذه التّقابلات أصلاً جمالياً في النّصّ الأدبي، وشرطاً فنياً تتحقق من خلال أدبيته" (بوحسون، 2014، 103). وهذا التّقابل في اللفظ وفي الصّورة لجأ إليه الشّيخ ليعبر عن حال الشّعب، إبان الاستعمار وكيف كان يعيش الأمرين، لإبراز خاصية التّقابل الّتي امتاز بها الإبراهيمي، وأبرزها في الثّنائية "قديم ديني مستقيم، جديد دنيوي واضح". وقد تجلت هذه الثّنائيات في حقول عدّة:

كالحقل الأخلاقي: الصّدق / المروق، السّادة / العبيد،

الشّعوزة / العلم

الحقل السّياسي: الاستبداد / الديمقراطيّة

الاستعباد / المساواة

أما الحقل الفلسفي: عقل / حس

مادة / روح

إنّ هذا التّقابل خدم الشّكل والمضمون، وأجرى الكاتب إحصاءاً للثّنائيات الّتي وردت في هذه الحقول، وفي هذا الإحصاء تبرز الكثير من الظواهر الأسلوبية، والاستعمال الأدبي والجمالي الصّرف هو الّذي يحدّد أسلوب الكاتب. وبرز التّقابل أيضاً بين "الشّابّ العامل، والشّابّ غير العامل...

و من هنا يتضح ذلك الرّابط الواضح بين الدّال والمدلول" (بوحسون، 2014، 111). وهذا التّقابل ملائم وخدم المعنى في الآن نفسه.

4.4 أدبية التّقديم والتّأخير:



في هذا العنصر يتطرق الكاتب إلى ما يعرف بشعرية النص وبخاصة في "خلخلة المواقع بين الكلمات". ولكنها تكون في هذه بقدر ما تكون دلالات نصوصية مفتوحة تتولد في النص. فالتقديم والتأخير خاصية أسلوبية أخرى تحل بها الإبراهيمي في نثره ومن أنماط ذلك "تقديم المتعلق بالمفعول به على المفعول له".

5.4 أدبية الحذف والذکر:

الحذف أسلوب شائع جداً في النثر الفني بعامه وفي نثر الإبراهيمي بخاصة، ومن ذلك قوله: "كل ذلك أرادوا، وفيه فكروا وقدروا، وعليه أرادوا المكيدة من أولها" (بوحسون، 2014، 114). فالحذف هنا خدم المعنى والبنية السطحية اختزالاً لفظياً للبنية العميقة، هذا عن الحذف؛ أما عن الذکر فقد استشهد الكاتب بقول صاحب دلائل الإعجاز الذي اعتبر "الحذف والذکر متلازمان، ويشكلان ضدية لا يخلو أي خطاب أدبي منهما، متآلفين أو منفردين". (بوحسون، 2014، 118)

وتوظيف الإبراهيمي لخاصية أو أدبية أو أسلوبية الحذف والذکر هو ما يقتضيه الحال، وتحمل في طياتها أسلوبية الخطيب وهذه هي "جاذبية كلمة النظم والبيان والفصاحة، والبلاغة ... نعم فاللغة بدمية حيّة وخبرة حسيّة من طراز عجيب" (بوحسون، 2014، 125)، ساقها لنا الإبراهيمي بأروع ما جادت به قريحته.

6.4 أدبية الصّوت والإيقاع:

وتطرق فيه إلى أربعة عناصر هي :

1.6.4 مظاهر الإيقاع وتجلياته:

"يقوم الإيقاع في النصّ الأدبي بوصفه نظاماً صوتياً على مبدأ " التكرار" ويتوزع على اللفظ والمعنى والتركيب". (ناصر، 1995، 128) فإذا كانت القصيدة تعج بالإيقاع في الوزن والبحر والموسيقى الدّاخلية والخارجية التي تصنعها القافية وحرف الزّوي والوصلّ والتّصريح، فإن النثر تصنعه اللفظة وتكرارها فإن " لم يكن البحر فلا تنتظر

اللؤلؤ، وإن لم يكن النّجم فلا تنتظر الشّعاع، وإن لم تكن شجرة الورد فلا تنتظر الورد، وإن لم يكن الكاتب البيانيّ فلا تنتظر الأدب" (بوحسون، 2014، 105) وهل في الشّيخ الإبراهيمي شك في أن يكون هو بعينه الكاتب البياني الذي أثرى المكتبة العربية بآثاره الخالدة.

2.6.4 إيقاع اللفظ الملفوظ:

ومن مظاهر ذلك في آثار الشّيخ ومما أورده الكاتب ما يلي: الجنس "تمائم/ عمائم، العذاب / عذاباً" (بوحسون، 2014، 137) الصّوت شفرة قابلة للتّبديل و التّحويل وأيضاً للتأويل.

3.6.4 إيقاع المعنى (الملحوظ):

والإيقاع الناشئ عن التّقارب الدّلالي، فاللفظ أدى معناه الظاهري، والمعنى يؤدي معناه التّفسي فلقد لجأ الإبراهيمي إلى التّكرار والتّقسيم والتّرادف وتنسيق الصّفات لخلق إيقاع نفسي، وتعود روعة الصّورة وتآلفها للموسيقى الدّاخلية فهي التي صنعت الجو التّفسي للأديب، وقد مثّل لكلّ من التّرادف والتّكرار والتّقسيم وتنسيق الصّفات ليظهر قوة أسلوب الشّيخ في تعبيره وإصراره على مواجهة المستعمر باللفظة قذفها من فيه، ليلعن المستعمر ويعجل برحيله، هذا إن دلّ على شيء إنّما يدل على " قدرة الكاتب على توظيف الصّوت، وتسخيرها للجمال الفنّي.

3.6.4 إيقاع التّركيب

عنصر أساسي في الظاهرة اللّغوية " وليس الأسلوب إلا شبكة من تقاطع العلاقات...فالكلمات تتوزع في الخطاب على خط أفقي، ويكون لتجاورها تأثير دلالي وصوتي

وتركيبي..." (الرافعي، دس، 16) وهذا ما لمسنه في خطاب الشيخ الإبراهيمي، والذي تخير له الكاتب الألفاظ والدلالات المناسبة، لتصنع جرسا موسيقيا مؤثرا وليضفي الحركة والحيوية للأحداث التي يسردها لنا تاريخ أمة صنعت مجدها بشعبها الأبي.

وهكذا نخلص إلى القول: "ليست الأسلوبية في حقيقتها إلا دراسة أشكال التّفنن في الأداء الكلامي في مستوى معين، غايته مزدوجة، فهو بالإضافة إلى كونه خطاباً ينقل فكراً فهو يغلف هذا الفكر أو يخرج به بألوان إبداعية... تحقق التأثير والمتعة والجمال" (بوحسون، 2014، 139).

وهكذا أيضاً كانت أسلوبية الأستاذ بوحسون، أمام أسلوبية البشير الإبراهيمي، الأول أبدع في انتقائه لخطاب الشيخ وعرض أفكاره، والثاني أبدع وحقق الأدبية والأسلوبية بحذافرها في خطاباته.

ولتبقى لنا شهادة ابن الشيخ الإبراهيمي أحمد طالب حيّة عندما قال عن أبيه: "لقد سمعت الشيخ العربي التبسي نائب البشير في جمعية العلماء رحمه الله يردّد كثيراً في مجالسه: "إنّ الإبراهيمي فلتة من فلتات الزّمان، وأنّ العظمة أصل في طبعه، والعظمة في رأي تكمن في القلب، والحقيقة أن الإبراهيمي كان عظيماً بعقله وجدانه، وبقلبه ولسانه فكلّ من تقلّب في أعطافه نال من ألطافه فالقريب والرّفيق، والسائل والمحروم، والمريد والتلميذ يجد فيه الأب الشّفيق، والأخ الصّديق الذي لا يبخل بجهد، وجاهه وماله، وإن قلّ، لتفريج الكرب، وتهوين الخطوب" (أوزاني، 2014، 12). هذا ما قاله ابن الشيخ عنه، ويقول كل جزائري أحب شخصه وعمل بنصائحه، وتلذذ بأسلوبه فهو رجل فكر وإصلاح، وأسلوب الإبراهيمي في آثاره يغير صورته كما تغير الثّعابين جلدها، فالقارئ لمتنهما النّقدي والأدبي، يتحول بين رياض سحر البلاغة والبيان.

5. خاتمة:

وفي هذا المقام نوجز أفكار المقال في النّقاط التّالية:

- الأسلوبية عامة والانزياح خاصة محرك جوهري من محركات الخطاب الأدبي، فتحليل هذا الأخير يرمي " إلى إعطاء النّصّ قراءة مضبوطة، يتفق عليها عدد كبير من



القراء، وهذا للإمساك بمبدئياً بمقاصد الكاتب الإبلابية أولاً، ثم بالمقاصد الأخرى التي تخرج من يد الكاتب إلى يد القارئ، الذي يقوم بعملية التفكيك والتركيب" (خالف)، (2011، 26)، هو الكشف عن بنية النص للوصول إلى ما يسمى "بمعنى المعنى" وهو المبتغى من خلال تّوسل آليات القراءة من الأسلوبية، وهو ما حققه الكتاب. موضوع الدراسة فتدوقنا معه جماليات الفنّ على صفائه وعمقه خاصة أنّه صادر من أحد عملاقة النّثر الجزائري البشير الإبراهيمي؛

. أسلوبية الإبراهيمي وبلا منازع أسلوبية في شخصه وفي فنّه، فقد كانت للشيخ في كتاباته بصمة أسلوبية، بلاغية خاصة به؛

. فالخطاب هو صناعة استعارية "وعلى المرء أن يعترف أنّه عندما يتكلم يصبح كأنّما استعارياً بأدوات متباينة، فخطابه نسيج من المقولات والمفاهيم والتأمّلات والأمثال الشّائعة والعوائد المكتسبات..." (البازي، 2017، 28).

. الأسلوبية تدرس أشكال التفنن الأدائي في الكلام فهي تُبلغ خطاباً من ناحية، وتهتم به بأن تصبغه بألوان إبداعية، محققة بذلك التأثير والمتعة والجمال من ناحية أخرى، ولهذا نجد كتاب "أدبية الخطاب النّثري عند الشيخ" يؤكد على أن الأسلوب "فنّاً لغوياً وأدبياً في آن واحد وبهذا يمكن التّقريب بين دراسة الأسلوب وبين البلاغة، ولا شك في أن كثيراً من مباحث البلاغة ذو صلة مباشرة بالأسلوب وتركيبه في المعاني والبيان والبديع" (شامية، 2002، 134)؛

. الأسلوبية علم ألسني يعنى بدراسة مجال التّصرف في حدود القواعد لانتظام جهاز اللّغة؛

. وهكذا يبدو أن موضوع الأسلوبية الأساسي هو الخطاب الأدبي من انزياحات تحدث نوعاً من الصّدمة الفنيّة لدى المتلقي، وتوقظ انتباهه مشاعره وأحاسيسه؛
. القارئ للمجهود التقدي للأستاذ بوحسون في كتابه "أدبية الخطاب النّثري عند الشيخ محمد البشير الإبراهيمي" يدرك أنّه يحمل هما ثقافيا يحاول من خلاله تمجيد الثقافة الجزائرية العربية التي تستمد آلياتها من بلاغة الخطاب العربي الأصيل التي تثنى جودة الأسلوب في ربوع البلاغة التي تتوزع بين حقول البيان والبديع والمعاني، وذلك إيماناً

منه بأدبية البشير الإبراهيمي ما كان لها أن تكون، لولا ذلك التّطعيم الحضاري لتّصوّبه الأدبية الحديثة بآليات الجمالية التّرائيّة التي أرسّتها الثقافة العربية الإسلامية العتيقة.

6. قائمة المراجع:

1. المؤلفات:

1. ابن خلدون المقدمة ابن الجوزي، القاهرة مصر، (1. éd.) (2010).
2. أحمد شامية، البلاغ في اللغة دراسة تمهيدية منهجية متخصصة في مستويات البنية اللغوية، دار الجزائر، الجزائر (1. éd.) (2002)
3. الأسلوبية في النقد العربي المعاصر، ص156 بتصرف. يوب جرجس × ينظر إلى كتاب أ
4. ايوب جرجس، الاسلوبية في النقد العربي المعاصر، عالم الكتاب الحديث، الاردن (2014).
5. باشير تاويريت، الحقيقة الشعرية على ضوء المناهج النقدية المعاصرة، عالم الكتاب الحديث، الاردن، (2010)
6. حسين بوحسون، أدبية الخطاب النثري عند الشيخ البشير الابراهيمي، دار الكتاب، الجزائر، عنابة، (ط1) (2014).

7. حسين خالفي، البلاغة وتحليل الخطاب، دار الفرابي، لبنان، بيروت (ط1)، (2011).
8. رشيد أوزاني، الشيخ البشير الابراهيمي، دار النعمان، الجزائر، (2014)
9. سمير سعيد. مشكلات الحداثة في النقد العربي القاهرة: الدار الثقافية للنشر (الإصدار 1) (2002)
10. عبد الجليل مرتاض.. في عالم النص و القراءة. الجزائر: ديوان المطبوعات الجامعية. (الإصدار 2) (2011)
11. عبد السلام المسدي.. الأسلوب والأسلوبية الدار العربية للكتاب. (الإصدار 2): (د س)
12. محمد البازي. البنى الإستعارية نحو بلاغة موسعة. بيروت: منشورات ضفاف. (الإصدار 1) (2017).
13. مصطفى صادق الرافعي.. وحي القلم. بيروت، لبنان: دار الكتاب العربي (الإصدار ج 1 ط8). (دس)
14. مصطفى ناصف.. اللغة والتفسير والتواصل. الكويت: سلسلة عالم المعرفة (الإصدار د.ط). (1995)
15. منذر عياشي. الأسلوبية و تحليل الخطاب. سوريا: مركز الإنماء الحضاري. (الإصدار 2) (2002).
16. ينظر إلى كتاب يوسف و غليسي. النقد الجزائري المعاصر من اللاسونية إلى الألسنية ص 149 بتصرف

17. يوسف وغليسي. إشكالية المطلق في الخطاب النقدي العربي الجديد. الجزائر:

منشورات الإختلاف. (الإصدار 1) (2009)

18. يوسف وغليسي. النقد الجزائري المعاصر من اللاسونية إلى الألسنية، الجزائر:

المؤسسة الوطنية للفنون المطبعية. (دط) (2002).